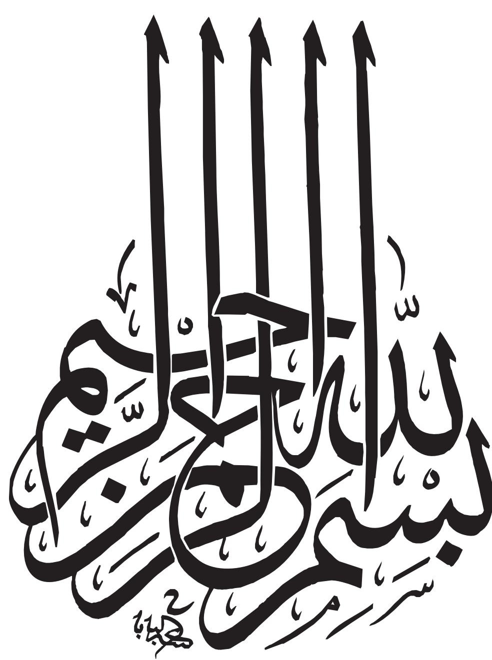
الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف

( ١ )

فرع الدراسات وخدمة التراث
الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف

الغلاف الداخلي


بسم الله الرحمن الرحيم

## المطلع القرآني..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنّا أَعْطَيناكَ الكَوْثَر . فصَلِّ لِرَبِّكَ وانحَرْ.

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر ﴾

# الإهداء..

إلى شُيُوخِي الأَفَاضِل..

بَقيَّة السَّلَف..

وأَمْثلَة الطَّرِيق في الخَلَف..

وإلى أحفادِ المقَدَّمِ الثَّاني..

الشَّيْخِ المرَبِّي عَبْدِالرَّحمنِ بنِ مُحُمَّدِ السَّقّاف..

أَحَدِ أفذاذِ مَدْرَسَةِ حَضْرَمَوْتَ المنْتَشِرَةِ في مَشارقِ الأرضِ ومَغارِبِها..

وإلى الرَّاغبِينَ في التَّعَرُّفِ على نمَاذِجِ (( السَّفِينَةِ الَّتي مَن رَكِبَها نجَا ومَن تخَلَّفَ عنها هَلَك )) ..

المؤَلِّف

# شاهد الحال..

النَّاسُ كُلُّهُمْ فُقَراءُ إلى العِلم،
والعِلم فَقِيرٌ إلى العَمَل،
والعَمَلُ مُحتاجٌ إلى العَقْل،
والعَقْلُ فَقِيرٌ إلى التَّوْفِيق،
وكُلُّ عِلم بلا عَمَلٍ باطِلٌ،
وكُلُّ عِلم وعَمَلٍ بلا نِيَّةٍ هَباءٌ،
وكُلُّ عِلم وعَمَلٍ ونِيَّةٍ بلا سُنَّةٍ مَرْدُودٌ،
وكُلُّ عِلم وعَمَلٍ ونِيَّةٍ وسُنَّةٍ بلا وَرَعٍ خُسْرانٌ..

الشيخ عبدالرحمن السقاف

محمد صلى اللّٰه عليه وآله سلم

علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء

الحسين

علي زين العابدين

محمد الباقر

جعفر الصادق

علي العريضي

محمد

عيسى النقيب

أحمد المهاجر

عبيداللّٰه

علوي

محمد

علوي

علي خالع قسم

محمد صاحب مرباط

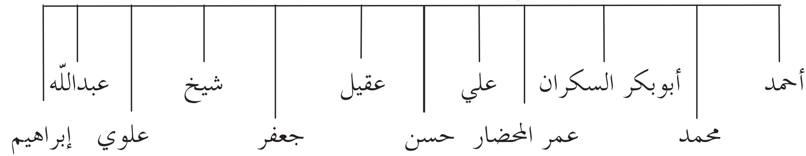
علي

محمد الفقيه المقدم

علوي الغيور

محمد مولى الدويلة

**( الشيخ عبد الرحمن السقاف )**



# المدخل

الحمد للّه الّذي تَعَدَّدَتْ مَواهِبُه، فتعددت في الوجـ ود آثارهـ ـا، وطابت في البسيطة ثـ ـمارها، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، إمام المتقين، معدن الفضل والجود، وأشـ ـرف موجـ ـود، سـ ـيدنا محمد بن عبداللّه الحامد المحمود، وعلى آله وأصـ ـحابه الأشـ ـاوس الأسود، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والورود.

أما بعد فإلى القراء الأعزاء نموذج جديد مِن نماذج المجد ورجـ ـال العهد الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، عاش في طرف من أطراف اليمن تحفّهُ العناية والرعاية، وتحيطه الأقدار بهالات الصدق والأمن والإخلاص.

أظهره اللّه في أهل عصره علـ ـماً فاستظلّ الكُلّ تحـ ـت سـ ـقفه، وأبرزَه اللّه للـ ـمريدين سلـ ـماً فارتقى به جلّ المتعلقين أوج العلا، ونالوا من جنيّات قطفه، وسمي في طريق السادة بـ ـنـ ـي علـ ـوي بالـ ـمقدم الثاني، لـ ـما كان على يديه من الفتح والـ ـمنح الرباني، وقد قبض على زمام الأمور، وعَمر القلوب والدور، وأرسى قواعد الطريق بالعلـ ـم والعمل الصادق المبرور، وبقي لنا على ممر الأعصار حجة ننتصر بآثارها على الشيطان وأعوانه، ونتطلع إلى شبههِ ومثلهِ

في حزمه وعزمه وعُنفوانه، والساقي باقي، ومن رغب في الاهتداء بما اهتدَوا به نال المنال، ولحِقَ بأهل الكمال، ومِنَ اللّه المنح والتوفيق والثبات في كل حال، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

## التعريف بالشيخ عبدالرحمن السقاف

هو السيد الشريف العالم العامل، قدوة المقتدين في زمنه، وشيخ العارفين في عصره، جامع علوم الإسلام والإيمان والإحسان، المترقي فيها بجدارة الفتح الكسبي والوهبي من الملك الواحد المنان، المتحقق بحقائق العرفان، المتبع قولاً وفعلاً وهمة وإرادة لمراتب جده سيّد ولد عدنان، انعقدت له الولاية الكبرى بلا منازع، وانفتحت له قلوب المريدين بلا حواجز أو قواطع، عبدالرحمن بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي ابن الإمام محمد صاحب مرباط ابن الإمام علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيداللّه بن أحمد المهاجر ابن عيسى بن محمد النقيب ابن علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي وفاطمة الزهراء رضي اللّه عنهم أجمعين.

ولد بمدينة تريم سنة ٧٣٩ هـ، وحفظ القرآن العظيم على الشيخ المعلم أحمد بن محمد الخطيب، وأتقن علوم القرآن والتجويد، وحقق جميع المتون الفقهية واللغوية، وكانت نشأته منذ نعومة أظفاره وهو بين سماع القرآن وعلوم الشريعة في المنازل والمجالس والحلقات، ومن هذه المواقع انفتحت عينه على دقائق العلوم وفنون المعارف من آلة ونحو وصرف وشريعة وحقيقة، فلم يمر عليه ليل ولا نهار إلا وهو ذاهب إلى طلب أو آيب منه، ففقهت مدركاته الذهنية أنبل الوسائل، واستوعبت ملكاته أشرف العادات والفضائل، وكبر حرصه على الأعمال الصالحة مبكراً، ولازم المطالعات والمراجعات وتحقيق العلوم، وخاصة في مجالس والده ومكتبة مربيه ومعلمه، وكانت مؤلفات العلوم كلها في حوزة والده وجملة من مشايخه، حتى قيل: إنه كاد أن يحفظ «الوجيز» و«المهذب» لكثرة تردادهما ومطالعتهما وحضور مجالس تقريرهما، إضافة إلى جو الذوق والشوق الذي سطعت شوارق قلبه في جوانبه ومراتبه، وطول المجاهدات السلوكية التي تمرَّنُ عليه نفوس الأشراف في بلاد الأحقاف، من طول أذكار وأوراد ومجالس فكر وذكر وشكر وترقيق قلب وحال بكلام أهل الأحوال ومقامات

الرجال. قال عنه السيد محمد بن علي خرد:

جنيد التقى والزهد والجود والسخا وبحر الصفا حبر الشيوخ الأماثل
وأستاذ أرباب العلوم أجلهم وغيث اليتامى والأيامى الأرامل[1]

ولن يوصف إنسان بمثل هذا الوصف إلا وقد ارتقى في عصره مرتبة الخلافة، وعقدت له الألوية، وخضع له أهل زمنه وعصره ومصره، وهذا كان حال سيدنا الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف كما سيأتي لاحقاً.

## شيوخه ومربوه

كان لعناية الشيوخ الأكابر أثر عظيم في حياة الشيخ عبدالرحمن السقاف، ومنهم تشكلت فهومه ومعارفه، وعنهم تفتحت مواهبه واستعداداته، وذكرت كتب التراجم أن من أجل من انتفع بهم والده الإمام محمد بن علي « مولى الدويلة »[2]، وأخذ وانتفع بالشيخ العلامة محمد بن علوي ابن أحمد ابن الفقيه المقدم المعروف «بصاحب العمائم» ومن في مرتبته من الشيوخ.

(١) « الغرر » ص١٨٨ ، وهي طويلة تراجع في الأصل.

(٢) « المشرع الروي » ص١٤١.

كما رحل في سبيل الاستزادة من العل م، فاتجه إلى غيل أبي وزير حيث لقي الفقيه العلامة محمد بن سعد باشـ كيل وحق ق علي ه «الإحياء» و«الرسالة القشيرية» و«العوارف» وغيرها.

كما أخذ عن الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد ولازم ه س نوات وانتفع به انفاعاً جمّاً، وكان الشيخ محمد باعب اد يعظ م الش يخ عبدالرحمن ويجله[1].

---

(١) ذكر ذلك في « الجوهر » (٢: ٥٨-٥٩) بما مثاله: قال محمد بن أبي سل مة بن أبي كثير: صعدتُ مع بعض آل أبي وزير إلى شبام، فدخلنا على الفقيه العـ ارف باللّه تعالى الخبير العال م الرباني محمد بن أبي بكر بن أبي عباد رضي اللّ ه عن ه ن زوره، فل ما جلسنا إذ بالشيخ عبدالرحمن رضي اللّه تعالى عنه يستأذن عل ى الفقيه المذكور، فخرج إليه الفقيه بنفسه، وكان يفعل ذلك له إذا عل م أنه على الباب ولا يدع أحداً يخرج إليه قبله أصلاً، قال: فل ما طلعا جلسا فوق سريره، ث م تكل م الشيخ رضي اللّه عنه بالكلام الغريب العجيب الف ائق، ت ارة في الحقيقة وتارة في الشريعة والفقيه مطرق بين يديه ول م يتكل م بكل مة واحدة، ول م يزالا على ذلك من الضحى إلى وقت الظهر، ث م صلينا الظهر ورجع ا مكانهما على ما كان إلى صلاة العصر، ث م صلينا العصر ورجعا مكانهما مع ما كان إلى الاصفرار.

وكان الفقيه المذكور مع جلالة قدره وعلو مرتبته يتواضع للشيخ عبدالرحمن رضي اللّه عنه ل ما عل م من ت مكن الشيخ في درجات النهاية، وباعه الطويل في أحكام الولاية، وكراماته الظاهرة ومقاماته الفاخرة وتصريفه النافـ ذ، وكـ ان

ثم رحل إلى عدن وأخذ بها قسطا من علوم العربية وآلاتها على الشيخ القاضي محمد بن سعيد كِبَّن، وبرع في علم الأصول وأتقن علم المعقول وكذا علم المعاني والبيان وعلوم التفسير والحديث، ولم يترك علماً من علوم عصره إلا وله به اطلاع ومنه انتفاع، ومع ذلك كان متواضعاً لشيوخه متأدباً محباً لهم قائماً بحقوقهم.

## مجاهداته في الطاعة

ورد في كتب التراجم عن مجاهداته في أول سلوكه أنه بلغ الغاية في حفظ الأوقات، والتقلل من المباحات، وكثرة الصوم والعبادات، حتى إن ورده من آخر الليل في قراءة القرآن بلغ في صلاته بمقدار مصحفين كل يوم، حيث يخرج إلى شعب النعير للتهجد، ثم صار حاله فيما بعد كما ورد في « الجوهر الشفاف » و« الغرر » وغيرها يقرأ أربع ختمات بالنهار وأربعاً بالليل.

ولا شك أن مثل هذا يثير العجب في زماننا حيث يصعب على المجتهد أن يقرأ ختمة واحدة في اليوم، ولكن العجب يتبدد إذا

---

الفقيه المذكورمن مشايخ الشيخ عبدالرحمن في العلم، وكان يُقَدِّمُه على الدَّرَسَة وإن سبقوه، ويَبقى باقي الدرسة كُلٌّ على سَبْقِه رضي اللّه تعالى عنه.

نحن تأملنا في المميزات الفطرية والاستعدادات المكتسبة التي تكونت في نفوس هؤلاء الصالحين بفعل الاستمرار، وطول الاطمئنان بالقرآن والاستذكار، حتى اندرجت الآيات تلو الآيات على ألسنتهم بسهولة ويسر، وهذا ما يسمى عند هذا أهل العلم بالطي، وهو أن يسهل اللّه القرآن على اللسان فينطوي في مدة قليلة، وقد ثبت هذا ومثله في حياة السابقين كسيدنا عثمان بن عفان الذي ورد أنه كان يختم القرآن في الطواف، ومثله يروى عن الإمام الشافعي وغيره.

وهذا التفرد في سلوك الإمام الشيخ عبدالرحمن السقاف لا يصل عند حد التلاوة فقط بل ورد أنه كان في بداية أمره ميالا إلى العزلة والبعد عن الناس، وقد يختار الذهاب إلى شعب نبي اللّه هود حاملاً كتبه وأوراده وقليلاً من الزاد، فيمكث من الزمان شهراً أو زيادة، وهذه الظاهرة التأملية كانت جزءاً لا يتجزأ من منهج التربية العلمية والعملية في مدرسة حضرموت لمن أراد طريق المجاهدة ﴿والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾.

وقد أثمرتْ هذه المجاهداتُ العالية في نفسية الشيخ التزاماً مسؤولاً بالواجبات والمندوبات، وأسست في داخل قلبه مرتبة

لاتخاذ المواقف الإيمانية الجادة، حتى قيل: إن مجاهداته في العلم والعمل لم تنقص في مكيال العمل حتى ليلة زفافه، إذ قام على عادته متهجداً متبتلاً شاكراً مولاه على أنعمه[1].

## أسفاره ورحلاته

تكررت أسفار ورحلات الشيخ عبدالرحمن السقاف منذ شبابه إلى الشحر والمكلا والغيل وعدن، وأخذ في رحلاته عن جملة من علماء عصره وأجاز وظهر شأنه وأمره.

وعاد في آخر المطاف إلى حرم الإقليم، متصدراً دروس العلم ومجالس الطريق، وقد أذعن له الخاص والعام، وارتفع قدره ومقداره بين الأنام، وقد استفاد من خلال زياراته المتعددة للعلماء والبلاد المختلفة ما يجب أن تتفرد به مدرسة حضرموت من ثوابت الطريق وقواعد التحقيق، فأخذ على عاتقه تمكين المريدين وتقوية علاقتهم بالعلم والعمل، ووجه عقولهم وأرواحهم لنيل المعرفة فقهاً وحديثاً وتفسيراً ولغةً كما يجب أن تؤخذ وتدرس، حتى ورد عنه في « الغرر » أنه ربما استغرق الحديث عن علم الظاهر حتى

(١) « المشرع الروي » ص١٤١.

يحرك مجامع القلوب نحو ذلك، ثم ما يلبث أن يعرج على الكلام من علم الباطن وأعمال القلوب حتى يعدل كفة الميزان بين الحالين.

## تصدره وشهرته في الآفاق

برز الشيخ وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد السقاف على كرسي الخلافة العلمية والعملية مبكراً في مقتبل العمر، والتف عليه المريدون والمنتفعون، واستفادوا من معارفه وعلومه، واستظلوا بأفياء وارف فهومه، فطار صيته في الآفاق ورحل إليه الطلبة من شتى الأصقاع، وحُملت إليه الرسائل والفتاوى من مشرق الأرض ومغربها، فكان في كل أحواله وإجاباته ورسائله ومسائله سالكاً مسلك الجادّة مبيِّنا ومفصلاً كل مادة عن مادة، وكان موهوب الذكاء قوي الحجة في تقرير مسائل العلم الدقيقة، ويحتشد الطلاب على تقريره في «الوسيط» و«البسيط» للإمام الغزالي، وفي شرحه «للمهذب» لأبي إسحاق و«المحرر» مع لطف عبارة وحسن إشارة، ووقوف مفيد على غامض المشكلات حتى يجليها للطلاب.

وكان يعتني بالجمع بين علمي الظاهر والباطن، ويحدو تلامذته ومريديه إلى الاهتمام بالعلم والعمل مع بذل الجهد في مراقبة المولى والإخلاص والصدق، ومما أملاه على تلاميذه قوله: (إن الأوقية من أعمال الباطن تعدل بهاراً من أعمال الظاهر)، و(من لا له ورد فهو قرد)، و(من لا له أذكار فليس بذَكَر)، و(من لم يطالع «الإحياء» ما فيه حياء)، و(من لم يقرأ «المهذب» ما عرف قواعد المذهب)، و(من لا له أدب فهو دُب)، و(النَّاسُ كُلُّهُمْ فُقَراءُ إلى العلم، والعِلم فَقِيرٌ إلى العَمَل، والعَمَلُ مُحتاجٌ إلى العَقْل، والعَقْلُ فَقِيرٌ إلى التَّوْفِيق، وكُلُّ عِلم بلا عَمَلٍ باطِلٌ، وكُلُّ علم وعَمَلٍ بلا نِيَّةٍ هَباءٌ، وكُلُّ عِلم وعَمَلٍ ونِيَّةٍ بلا سُنَّةٍ مَرْدُودٌ، وكُلُّ عِلم وعَمَلٍ ونيَّةٍ وسُنَّةٍ بلا وَرَعٍ خُسْرانٌ).

وذكر صاحب «المشرع»[1] أن الشيخ عبدالرحمن السقاف ذكر في بعض أيام درسه فضل الفقه، فعزم ولده الشيخ عمر المحضار أن يُفني عمره في الفقه ويترك غيره من العلوم، فلما انقضى المجلس ناداه وقال: يا عمر.. اجتهد في أعمال القلوب، إن الفقهاء معهم قَبَس ومع الصوفية جذوة، وأوقية من أعمال الباطن تعدل بهارا من

---

(١) المصدر السابق .

أعمال الظاهر.

ورد في « الغرر » أن الشيخ عبدالرحمن السقاف قرأ في علم الشريعة المطهرة خمسين كتاباً سوى العلوم الأخرى[١].

وكان يجاور عند نبي اللّه هود نحوا من ستة أشهر، واتخذ في آخر عمره قارئاً يقرأ عنده القرآن جهراً وهو يستمع ويقرأ معه أوائل الآيات، وإذا قام إلى صلاته تراه كأنه شاب، وكان لا يدخل وقت الصلاة المفروضة إلا وهو في المسجد، وكان يتهجد في المسجد أكثر الليل[٢].

وقال الشيخ علي بن محمد الخطيب: سمعت شيخنا الشيخ عبدالرحمن السقاف رضي اللّه عنه يقول: كنت أقرأ القرآن في اليوم والليلة ثمان ختمات أو سبع ختمات، قال: وكان الشيخ رضي اللّه عنه يقرأ هؤلاء الختمات المذكورات أربعا بالليل وأربع بالنهار، ختمتان بعد صلاة الصبح إلى وقت الظهر، وختمة فيما بين الظهر والعصر يقرؤها في ركعتين، وختمة بعد صلاة العصر، وكان يُرى بالليل كأنه أُسطوانة من كثرة القيام.

---

(١) « الغرر » ص٣٩٦ .

(٢) « الجوهر الشفاف » (٢: ١٠٧) .

## زهده وورعه وعنايته بالزراعة والعمل اليدوي

كان الشيخ عبدالرحمن السقاف على غاية قصوى من الزهد في الدنيا وعدم الالتفات إليها، حتى إنه قد يفرق الزكاة من التمر على الفقراء والمساكين فلا يلعق التمر من أصابعه تورعا، بل يمسحه أو يغسله بالماء.

وكان يميل إلى العمل اليدوي والزراعة على عادة أهله وسلفه، وله نخل كثير غرسه في تريم والمسيلة وغيرها، وكان إذا غرس نخلة يقرأ عند غرسها سورة ياسين، أما في أرضه المسماة « باحبيشي » فكان بعد تمام كل غرسة يقرأ ختمة كاملة، ثم جعل ذلك صدقة على الموجودين من أولاده، على أن يقرأوا ويهللوا ويسبحوا اللّه كل ليلة بعدد معلوم، ثم يهبون ثواب ذلك إلى روحه بعد موته، وكان أولاده يومئذ ثمانية بنين وست بنات.

ومن مشاريعه الخيرة بناؤه لعشرة مساجد في أنحاء متفرقة من حضرموت، ووقف على كل مسجد ما يقوم بحقه من عقار وأرض، ولا زال من مساجده مسجده المعروف بمسجد السقاف بتريم إلى اليوم، وفيه تقام الحضرة الأسبوعية المنسوبة للشيخ

السقاف[١]، وتقام فيه الآن حلقات تحفيظ القرآن تحت رعاية السيد محمد بن علوي العيدروس المعروف بسعد [٢] .

## مقامه وفضائله وأحواله

أجمع أهل عصره على تسميته بالسقاف لـ ـما كان عليه من سمو الهمة وعلو المرتبة، حتى صار لأهل عصره سقفاً معنوياً، واختلفت رواية المؤرخين في سبب التسمية، فقيل: إنه سمي بذلك لإخفائـ ـه حقيقة حاله عن أهل زمانه، فكان كالـ ـمستور تحـ ـت سـ ـقف التواضع والخمول، حتى قيل: إنه لـ ـم يدّع حالاً لنفسـ ـه ولـ ـم يطلب شهرة ولا مقاماً، وكان يكره أشد الكراهة، وقيل: إنه سمي

(١) ذكر الشاطري في « الأدوار » ص٢٦٤ أن الحضرة المذكورة تعقـد مـرتين في الأسبوع ليلة الاثنين والخميس، يتولى الإنشاد فيها أبناؤه وأحفاده، ثـم جلـب حفيده العلامة أحمد بن الحسين العيدروس المتوفى سة ٩٦٨ هـ مُنْشِدِينَ من مصر ومن عَرَف يسمون آل بامصري وآل عرفان، وقاموا بهذه المهمة هم وأحفادهم إلى اليوم.

(٢) السيد سعد العيدروس إمام مسجد السقاف والقائم عليه وعلى مصالحه، وله همم عالية في خدمة المسجد والطريق، والإشراف على حلقات القرآن بقبة أبي مريّم، وله مصنفات مفيدة في فنون عديدة، ونأمل أن تجد طريقها إلى النور قريباً إن شاء اللّه.

بذلك لأنه سَقَفَ على أولياء زمانه بحاله[1] فصار كالسقف المظلل لهم.

ويبدو أن مراحل ترقيه في المقامات والأحوال قد جمعت له هـ ـذه المعاني، ففي بداية أمره كان على الصفة المذكورة من إخفاء الحال والرغبة في الستر، وفي مرتبة بروزه وظهوره واختيار اللّه له موقـ ـع الصدارة سَقَفَ حاله على أهل زمانه.

وله عبارات يقول فيها في بعض كلامه: اجتهدنا فلـ ـم يُفـ ـتح علينا بالفتح العظيم حتى رجعنا إلى معرفة النفس. ويقول: واللّه ما لقلبي التفات إلى غير اللّه من أهل وولد ومال، وما بـ ـنـ ـيت داراً ولا مسجداً إلاّ وقد أُمرت بفعل ذلك.

ويقول : دواء القلب ترك العوائق والتوفيق إلى نيل كل خير[2].

ويقول في مرتبة الظهور والبروز: اطلعنا على الحلاج وظننـ ـا أن بزجاجته كسراً فوجدناها ترشح وليس بها كسر، واطلعنـ ـا علـ ـى الغيث بن جميل[3] فوجدنا حاله فوق مقاله، واطلعنا على سعيد بن

---

(١) « الغرر » ص١٩٠.

(٢) المصدر السابق ص١٩١.

(٣) قال في « الجوهر » عن الغيث بن جميل ص٦٥ : كان الشيخ حسن بـ ـن علـ ـي

عمر بالحاف فوجدنا مقاله موافقاً لحاله ، واطلعنا على أحمد بن أبي الجعد فوجدنا مقاله فوق حاله.

ويقول: كُنِ ابنَ زمانِك، فإن رأيت أهله ذئاباً فلا تكن ضأنة يأكلوك، وإن رأيتهم ضأناً فلا تكن ذئباً تأكلهم.

ويقول: فقهاء الزمان وصوفيته تواقعوا في الطحس[1].

وقال في « الجوهر الشفاف »(٢: ٧) : وكان شيخنا الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه عنه كثير الاستغفار بالليل والنهار واللّه أعلم، يرتقي من درجة إلى درجة، فإذا ارتقى من درجة إلى درجة أعلى منها يستغفر اللّه تعالى منها، رأى نفسه في الأولى في محل التقصير عن معرفة اللّه تعالى منها، ولذلك قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: إني لأستغفر اللّه تعالى في اليوم سبعين مرة، ففسر العلماء رضي اللّه عنهم قوله ذلك أنه صلى اللّه عليه وسلم يرتقي كل يوم كذا وكذا درجة، فإذا ارتقى من درجة إلى درجة

---

علوي يقول: الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه عنه في منزلة أبي الغيث بن جميل اليمني، وكان أبوالغيث قد قُلد سيف الولاية وشاع ذكره في الآفاق، وفاق أهل زمانه، وتقدم على أقرانه، وسُمي لعلو شأنه شمس الشموس وقاتل الأهواء والنفوس.

(١) الطحس المزالق ، أي: وقعوا في محاذير كثيرة ومخالفات.

أعلى منها رأى الأولى في محل التقصير عن معرفة اللّه تعالى فيستغفر اللّه منها، وأولياء اللّه تعالى هم السالكون محجة النبي صلى اللّه عليه وسلـ ـم.

وقال أيضا عن بعض عادات الشيخ عبدالرحمن السـ ـقاف عنـ ـد الإلباس للفقراء والـ ـمساكين والـ ـمريدين: وكان من عاداتنـ ـا في آخر عمر شيخنا الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه تعالى عنه أن يشتري أحدنا خوذة ويعطيها الشيخ، والشيخ يعطيه خوذتـ ـه الـ ـتي عليـ ـه تبركاً[1] .

وقال أيضاً عن تأثير الشيخ عبدالرحمن في مريديه: أخبرني السـ ـيد محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي علوي قال: لـ ـما حكمني الشيخ عبدالرحمن رضي اللّه عنه ذهبت عني محبة الدنيا وزالت عني صفات مذمومة كنت أعرفها فيّ، وأُبدلتُ بها صفاتٍ محموداتٍ في ذلـ ـك الوقت الذي حكمني فيه الشيخ، وأنا في مزيد إلى الآن.

قال مؤلف « الجوهر » تعليقاً على ما ورد: وكان بعض الصالحين ممن يسمي شيخنا الشيخ عبدالرحمن « الصّباغ » لصـ ـبغه القلـ ـوب بالصفات المحمودة وإنجاع كلامه فيها واستراقها منـ ـه بمجالسـ ـته

---

(١) « الجوهر » (٢: ٤٢).

وبركته العلوم الربانية والصفات السنية[1] .

وكان الشيخ عبدالرحمن يتحدث بالنعمة فيقول: يقول ـون بحـ ـر الهوى كم يكون عرضه وكم يكون طوله؟ فدخلنا فيه فوجدنا ما له منتهى، فالصالحون غطسوا فيه، أي: غلبهم بحر الهوى حتى تشرقوا بغصصه وظهرت عليهم علامات تعبه كما يغلب الماء السابح فيـ ـه فيواريه ويشرق به، أما أنا لـ ـم أغطس، -أي: لـ ـم يغلبـ ـنـ ـي ولـ ـم تنلني منه مشقة ولا تعب- ولا شـ ـرقت بغصصـ ـه. اهـ . «الجوهر الشفاف» (٢: ٦٢) .

ويؤثَر عنه قوله: لو عرفتُ أن قلبي يحب غير اللّه لأخذتُ حجراً وفضخته. أو ما في معناه من « الجوهر » ص٦٤، ويؤثر عنه أيضـ ـا قوله: أنا شيخ من لا له شيخ إلى يوم القيامة [2].

قَومٌ هُمُومُهُمُ باللّهِ قد عَلِقَـ ـتْ ... فما لهم هِمّةٌ تَسْمُو إلى أَحَـ ـدِ

فمَطْلَبُ القَوْمِ مَولاهُمْ وسَيِّدُهُمْ ... يا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ للواحدِ الصَّمَدِ

ما إن يُنازِلُهُمُ دُنيا ولا شَـ ـرَفٌ ... مِنَ المطاعِمِ واللّذاتِ والوَلَـ ـدِ

ولا لِباسٌ لِثَـ ـوْبٍ فـ ـائِقٍ أَنِـ ـقٍ ... ولا التَّزَيُّنُ في الأحوالِ والعُـ ـدَدِ

(١) المصدر السابق (٢: ٧٥) .

(٢) من مقدمة ديوان الحضرة ص٦ .

## نبذة عن حضرة السقاف

بنى الشيخ عبدالرحمن السقاف عدة مساجد بتريم ونواحيها، من المساجد المشهورة مسجده المعروف الذي كان ملازماً له بالعمارة الظاهرة والباطنة حتى وفاته، وهو أول مسجد بناه سنة ٧٦٨ هـ.، وقال رضي اللّه عنه: ما شرعتُ في عمارته إلا وقد أسّسه الأئمة الأربعة المجتهدون، ووقف كل واحد منهم على ركن من أركانه والنبي صلى اللّه عليه وسلم في قبلته.

وكان يجلس فيه بعد العشاء ليلتي الخميس والاثنين لإقامة الحضرة المعروفة، وتسمى « ليلة الراتب » ، وإذا مات أحد من آل أبي علوي كان يترك الراتب مرتين أو ثلاثة، ثم أشير عليه بعدم تركها.

قال الولي الصالح سعيد بن سالم الشواف عنها في منظومته «قصعة العسل» :

والنور ذي فيها كان في مسجد الراتب بان واملا منار الأكوان
أنوار جلاها اللّه

من نور ذيك الحضره يحضر بها اهل الشهره فيها من اللّه نظره
للأوليا شي للّه

يا من حضر فيها شاف نور المشايخ الاشراف والشيخ ذاك السقاف يحضر مع اهل اللّه

حضرة تقع ما أكبرها ياليت من يحضرها أو ليت من ينظرها فيها جلالات اللّه

دائم وهم في الحضره عند العشي والبكره عسى تقع لي نظره منهم ومن جود اللّه

وتبدأ الحضرة بالفاتحة، ثم بالتهليل بإيقاع خاص، ثم ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون .. إلخ﴾ ﴿إن اللّه وملائكته..﴾ ثم فاتحة أخرى.

ويبدأ الإنشاد بقصائد السلف حسب الترتيبات المعتادة للحضرة، وغالب القصائد المنشدة ذات نمط حميني خالية من التكلف، حاوية على تحريك الوجدان الذوقي، وربط السامع بمقامات ومراتب الأولياء والصالحين ومشايخ الطريق، وذكر تريم ومعاهدها الأنيسة وقواعدها الروحية، وقد أضيفت بعد الشيخ عبدالرحمن السقاف تراتيب وقصائد أخرى لأولاده ولبعض رجال الذوق، وقد جمع العلامة السيد عبدالرحمن بن محمد المشهور كافة تراتيب الحضرة في

كتاب خاص سماه « المنهل العجيب الصاف في فضل وكيفية حضرة الشيخ عبدالرحمن السقاف » .

والمعلوم عند مشايخ التصوف أن الحضرة واحد من مجالس الذكر الذي يشتمل على تحريك المريدين والحاضرين بوجدان وذوق يخرجهم حسب استعداداتهم عن مألوف العادة للطبع البشري، كجزء من ترويح النفس وترويضها على الذكر والاستغراق فيه، وأساس هذه الحضرة قائم على مدلول تربوي يختص به الصوفية دون غيرهم، ولهم به ولع شديد واهتمام، ومن أهم شروطه:

١- حسن الظن بالله وأولياء الله.

٢- طرد الخواطر والوساوس والتسويلات النفسية.

٣- حسن الظن بين المريدين.

٤- محبة بعضهم البعض في ذات الله.

٥- الامتلاء الكامل بالمعاني الواردة في الأذكار والأشعار.

٦- عقد النية أن الحضرة حضور مع الله واستئناس بذكره وذكر رسوله، والتغني بمراتب الصالحين للتأسي بهم ونيل بركاتهم.

وإذا اضطربت هذه الشروط أو فقدت لا يمكن للمريد أن ينتفع

بهذه المجالس، وتتفاوت وقائع الحضرات عند أهل التصوف، وقد يعتري البعض خلالها زعيق وصياح وإغماء، وخاصة في حضرات الذكر المعروفة عند بعض الطرق الأخرى، وقد يتجاوز الأمر إلى أكل الزجاج والحرق بالنار وطعن الأجساد، وكل هذه الإفراطات مرجعها إلى قوة يقين المجاذيب وقوة إرادتهم في كرامات الأولياء وصدق التعلق باللّه وعدم اهتمامهم بما يقوله الآخرون من الانتقاد عليهم.

أما في حضرة السقاف بتريم فلا يوجد شيء من ذلك أصلاً، وغاية ما يظهر على بعض الصادقين البكاء أو الإطراق المستديم، وينكرون كل الإنكار على من يتجاوز الحد الشرعي للوجد والذوق، ولا يميلون إلى ما لا يستسيغه الأدب الذوقي من تلك الحركات والهيئات التي قد يفعلها غيرهم من أصحاب الطرق. وينحصر اليوم إنكار المنكرين على حضرة السقاف على ما يضرب من آلات النفخ والدف والطيران، وما يأتي في سياق القصائد من الاستغاثة والتوسل والاستشفاع.

والإنكار على الحضرة لهذه الأسباب وجيه من وجهة نظر المتأثرين بمدرسة النقض، أما من حيثيات القواعد التي وضعها

علماء الصوفية ومشايخهم فلهم ما يبرر مواقفهم آنذاك، إذ إنّ الغالب منذ القرن السابع والثامن في بلاد العالم الإسلامي التسامح في شأن القواعد الذوقية، وأفتى كثير من العلماء بالجواز في بعض الحالات، ولم يكن عندهم ولا عند علماء السُّنَّة من ينكر التوسُّل، حيث لم تَظهر مدرسة الإنكار بصورتها العدائية حول هذه المسألة إلاّ في مرحلة متأخرة جداً، وجاءت مرافِقَةً لتحولاتٍ خطيرةٍ في حياة الأمة بعمومها لم تقف عند حد مسألة الإفراط عند الصوفية، بل شملت كل شيء في حياة المسلمين، وخرجت من دائرة المطالبة بالتوسط بين الإفراط والتفريط إلى إصدار أحكام بدعية وانقلابات مِلَلِيَّة.

إننا نجزم أن تحولات المراحل بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية قد أفقد مدرسة الإسلام بكافة مذاهبها وطرقها موقعَها الإسلاميَّ القديم، كما أفقد الأمة بعمومها حاكماً ومحكوماً موقعَها السياسيَّ والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. ولهذا فمن نافلة القول «أن نحارب الصوفي المفْرِط» في عصرنا هذا «لنؤيد السلفي المفرّط» ، وكلاهما في حقيقة الأمر قد فقدا الموقع الإسلامي العادل في الاحتكام والالتزام، وبقي لهما الصراع المحدود في بعض الفروع والهيئات

والكيفيات التي يتسع الشرع لمن أراد العمل بهما أو تركهما، حيث لا يمثلان غاية في الأمة وإنما اختلاف وسائل فقط.

## أبناؤه وزوجاته

كان الشيخ عبدالرحمن السقاف كثير التزوج، وجمع في عقده أربع نسوة، وكان يرى في كثرة التزوج تفريغ البال عن شواغل الجسد، والتفرغ لمطالب الروح، وجمع القلب على مراد اللّه في الذات، وكان له نساء من خارج تريم، وبعضهن من تريم.

وخلف من البنين ثلاثة عشر ابناً ذكراً وسبع إناث كما ذكرت كتب التاريخ[1].

## مقولات عن مقامه المنيف

جاء في «الجوهر الشفاف» (٢: ١٠٨):

وكان رضي اللّه من أكابر المشايخ العارفين، وصدور الأجلاء المقدمين وخلاصة الأصفياء المحبوبين، صاحب الأحوال الفائقة والمقامات الرائقة والكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة، والهمم

(١) «الجوهر الشفاف» (٢: ١٠٨).

العالية والبركات النامية، والفتح العلي والكشف الجلي، والمحاسن الجميلة والمواهب الجليلة، والقدم الراسخ في التمكين المحمود والباع الطويل النافذ في الوجود، واليد البيضاء في السبق إلى أعلى معارج الوصل، والمشرب الأهنى من كؤوس مدام الوصل، مَطْلَعاً لشموس الأقمار ومنبعاً لعيون الأسرار، سارت بذكر فضائله الركبان في الآفاق وانعقد على إجلاله الإجماع والاتفاق، عمر اللّه القلوب والوجود ببركاته وأنيخت ركائب الطالبين لنيل هباته وسلبت قلوب العارفين ببديع صفاته، فهو قطب الوجود حقا ومرشد أهل الطريقين إلى الحق صدقا، فطيب نشره في الوجود فائح وغير ذلك مما يقصر عنه مدح كل مادح.

مدحه مؤلف « الجوهر الشفاف » بقصيدة سماها « باهر المفاخر وطلعة الأنوار الشواهر في مدح قطب الأولياء الموهوب الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ محمد بن علي المحبوب رضي اللّه عنهم » فقال:

أَيَـا مُسْـبِلِي أَسـتارِ جَهْـلٍ وغَفْلَـةِ
علـى مُقَـلٍ عَـن رُؤْيَـةِ الخَـيرِ صَـدَّتِ

لِزام ـ ـاً عل ـ ـى الأَبص ـ ـارِ غَضّ ـ ـاً لمنْظَ ـ ـرٍ

ل ـ ـما في عَ ـ ـرُوسِ الأَولِيا الكُ ـ ـلَّ ضَ ـ ـمَّتِ

مِ ـ ـنَ الحُسْ ـ ـنِ والإحس ـ ـانِ والفض ـ ـلِ والبَه ـ ـا

ومِ ـ ـن مَكْرُم ـ ـاتٍ ف ـ ـاخِراتٍ عَزِي ـ ـزَةِ

إمامُ العُل ـ ـى شم ـ ـسُ الهُ ـ ـدى مَعْ ـ ـدَنُ النَّ ـ ـدى

مفاتِيحُ ـ ـهُ تُغ ـ ـنِي لك ـ ـل لبوس ـ ـةِ

وقُطْ ـ ـبٌ جمي ـ ـعُ الأولي ـ ـا تح ـ ـت حُكْمِ ـ ـهِ

وتح ـ ـت يَدَي ـ ـهِ م ـ ـا أُنيلَ ـ ـتْ وزِي ـ ـدَتِ

فك ـ ـم ص ـ ـادِرٍ من ـ ـهم يَعُ ـ ـودُ برِفْ ـ ـدِهِ

وك ـ ـم وارِدٍ يَحْظَ ـ ـى بجَ ـ ـزْلِ العَطِيَّ ـ ـةِ

وخ ـ ـوف القِ ـ ـلا والع ـ ـزل فالكُ ـ ـلُّ مِ ـ ـنْهُمُ

لِسَ ـ ـطْوَتِهِ هُ ـ ـمْ خَاضِ ـ ـعُونَ لِهَيبَ ـ ـةِ

عَنَيْ ـ ـتُ بِ ـ ـذا ش ـ ـيخاً ش ـ ـريفاً مه ـ ـذَّباً

مُ ـ ـراداً سَ ـ ـخِيّاً وَصْ ـ ـفَ واحِ ـ ـدِ أُمَّ ـ ـةِ

لَ . .هُ في المع . .الي والع . .والي علائِ . .ـمٌ

نَ . .واهِي سـ . .ناها في ع . .والي هِمَّ . .ةِ

كـ .ـريمُ السَّ .ـجايا طَيِّ .ـبُ الجَ .ـأشِ فاضـ .ـلٌ

إلى رِفْ .ـدِهِ الرُّكبـ .ـانُ مِـ .ـن كُـ .ـلِّ بَلْـ .ـدَةِ

وهي قصيدة طويلة مبسوطة المعاني في وصف الشيخ المـ ـذكور، وللشيخة العارفة باللّه سلطانة بنت علي الزبيدي مقولات وأشـ ـعار في الشيخ عبدالرحمن السقاف منها قولها:

ألا يـ .ـا مرحبـ .ـا بالـ .. ـمقبلينا وبالشيخ الذي فـ ـيهم يضـ ـينا

عماد الدين هو الغوث الذي اعـ . ـطي من عند رب العالـ . ـمينا

سراج عند ظلـ . ـمات الليـ ـالي يسلي كل مـ ـن قلبـ ـه حزينـ ـا

لأنـ ـه خـ ـاض في بحـ ـر المحبـ ـة وحافظ سادته عهـ ـداً مكينـ ـا

ألا يـ .ـا رب فانفعنـ .ـا بجاهـ .ـه نعـ .ـم يـ .ـا رب إنـ .ـا مـ .ـذنبينا

ونختـ ـم بالصلاة علـ ـى محمـ ـد صلاة دائمـ ـا في كـ ـل حينـ ـا

ولها أيضاً فيه أبيات تقرأ في الحضرة وهي:

سلامُ اللّـ ـه مـ ـا دام السـ ـلام على شيخ الملا قطب الأنـ ـام

عفيفُ الدين سـ ـيدنا الهمـ ـام رقا في الحب مرقـ ـى لا يـ ـرام

وأهل المعرفة تشـهد بفضـلهْ … بحسن الظن في هذا من أجلـه
وحاشا شيخنا لا شيخ مثلـه … لانه تـاج سـادات كـرام
حبيبي سلك حسن الظن باللّه … وما تحظى من أسرارك من اللّه
وتجعل في قلبـي لـك محلـه … وعقد الحب الى يـوم القيـام

وتقول أيضاً فيه:

سلام اللّـه منـا كـل يـوم … على شيخ الملا قطب الزمـان
على من فخره فـاق المفـاخر … أبي الغوث الذي حاز المعـالي
لسان الزهد له حلـم وعلـم … وزاد اعطي من اللّـه الأمـاني
إمام العصر له بـاطن خفـي … صفا من كل لهـاف وضـاني
وذا في عبـد رحمـن المؤيـد … له فوق المشايخ رفـع شـان
سقا اللّه مـن كـاس المحبـه … وقرب الوصل من كاس ملآن
شريف جاهد النفس الذميمـه … صبر حـتى ملكهـا بالعنـان

## الموقف من الكرامات ومرائي المنامات

لكل عمل وجهد ثـمرة، وثـمرة الأعمال والـمجاهدات حسن الاستقامة وبروز الكرامة، وكما ورد عن السلف: الاستقامة أعظم كرامة.

وهؤلاء الشيوخ أمثال شيخنا عبدالرحمن السقاف بلغوا منذ أن نشؤوا حتى ماتوا مراتب في التربية والسلوك والعلم والعمل وحسن الخلطة بالصالحين والبعد عن الدنيا ومظاهرها، مما يجعل ورد عنهم من الخوارق والكرامات أمراً لا غبار عليه عند المنصف .

والخوارق والكرامات ليست مطلبا ولا غاية ولكنها دلالة على صحة ارتباط أولئك بمولاهم، وحتى لو لم تظهر كراماتهم، فالسير إلى اللّه على نمط وأدب أولئك شرف عظيم.

ونحن في هذه الترجمة المختصرة لم نجعل للكرامات والخوارق موقعا بين فصولها، ويطلبها من أرادها في مظانها من المراجع؛ لأن هذه التراجم ليست بغرض إشهار الأولياء بالخوارق، وإنما تعريف الأحفاد والأبناء قواعد الالتزام بالشريعة، وإبراز التدرج التربوي الذي سلكه الآباء في حياتهم الأولى، وهو المطلب الأسمى من شريعة المصطفى صلى اللّه عليه وسلم، وهو أيضاً موطن الاقتداء والاهتداء بالصالحين.

ونود أن نختصر الطريق التي حرص كثير من المتأخرين على خلط الأوراق فيها لتطول المعاناة بين الأحفاد والأجداد، وتقطع طريق العلاقة العلمية والعملية بين الأبناء وآبائهم بفكرة سوء وفساد

الاعتقاد، وهذا أمر لا يقبل من أساسه ولن يقبل أبداً مهما تفنن المتأخرون في أساليب التعمية والتشويه، ومهما كبرت حملة الإعلام على رجالات آل البيت وشيوخ الإسلام، فموقع الحرج والأزمة قد حُدد مسبقاً بالنسبة لتناولنا تراجم السلف.

فالأزمَة عند المتأخرين الاستفادة من ذكر الكرامات والخوارق والشطح وإفراطات القول والفعل عند أولئك، والحكم من خلالها على العقائد، ويرهقون أنفسهم كثيراً في ملاحقة ومتابعة وتقصي العبارات الموهمة والمشكلة كي يقرروا من خلالها فساد المعتقد وسوء المقصد، ثم ما يلبثون أن يهللوا ويكبروا منتصرين ومبتهجين بسلامة ما هم فيه وما هم عليه.

فعلى سبيل المثال.. نجد أن للشيخ عبدالرحمن السقاف أكثر من مئة كرامة مبثوثة في كتب التراجم المخطوطة والمطبوعة، وغالب هذه الكرامات لا تتعدى العصر الذي عاش فيه ومن عاصره، وخاصة أن واصفيها قد جمعوها من عوام الناس ومن بعض محبيه، ولم توجد كرامة مأخوذة عن الشيخ ذاته إملاءً أو تحريراً، ويكاد أن يكون نصفها إن لم يكن أكثرها عبارة عن مرائي منامية.

وجيلنا من أحفاد الشيخ عبدالرحمن السقاف يبحث عن قواعد

الطريق التي جعلت الشيخ عبدالرحمن السقاف أستاذا في المعرفة، وإماما في السلوك، ورجلاً يسمى بالمقدم الثاني من حيثيات القواعد العلمية والعملية التي حدد بها مسيرة المدرسة العلوية، ووجه مسيرتها إلى العالم الداخلي والخارجي.

ووقوفنا في مرحلتنا هذه عند «مادة الكرامات بين النفي والإثبات» لإقناع من يبحث عن إقناعه واقتناعه، وإرضاء من لا يلزمنا شرعاً إرضاؤه ولا استرضاؤه؛ مسألةٌ لا تتناسب مع مسؤوليات مدرستنا، ولا تتلاءم مع ما نود أن نقرره مع أندادنا وأضدادنا، حول ما يجب العمل من أجله بين النقيضين، وهو « التوسط بين مأخذ الإفراط والتفريط » .

إن مسألة الفهم الواعي أولاً لثقافة المراحل أصل هام من أصول المعرفة للتاريخ ورجاله، ثم دراسة فقه المدارس ذاتها وأساليب الأخذ والترقي والتعليم في كل مدرسة، وعلاقة شيوخها أولاً بالمنهج الشرعي كتاب اللّه وسنة رسوله، ودورها في خدمة الإسلام ونشر الدعوة ومصدر هويتها التي كونت وجودها في الواقع، ولعل هذا الأمر –وهو مصدر الهوية المكوِّنة للمدرسة في الواقع– مهم جداً في إدراك أسباب الانتشار والانحسار.

ويعنينا نحن في مدرسة حضرموت ونحن نجدد لأتباعنا ومريدينا أصول المدرسة العلوية على نمطها الشرعي المتصل علماً وعملاً وسنداً بالمصطفى صلى اللّه عليه وسلم أن نعرف ونعرّف الجميع أهمية الدراسة التاريخية العلمية للمراحل وتقلباتها، ووضع كل مدرسة في موقعها المناسب من « فقه التحولات » الذي وضعه للأمة من لا ينطق عن الهوى.

فالكرامات والشطحات مادة دسمة تستهوي العديد من ذوي العلم على نقيضين: مؤيدٍ ومعارضٍ، وليست الأمة في حاجة إلى المحاكمات الصورية، لا للتاريخ ولا للأولياء، الجميع في حاجة إلى وقفة مسؤولة عن بناء الحاضر وإقامة المجتمع الإسلامي المعاصر، فالذين يشتغلون بتسفيه الأوائل وتجريح عباداتهم وعاداتهم نحن وإياهم في أمس الحاجة لإعادة العمل الشرعي بالمنهج الإسلامي المقنع للجميع، ومتى ما جاء الإسلام بعينه اعتقاداً وقيادة وشعوبا؛ انقطع الأمل في الجهل والجهالات، وذهب الإفك وتهمة الشرك والضلالات، والحق ناطق بذاته لا غبار عليه؛ ولكنه -والحق يقال- معتم في الواقع، إن لم نقل منعدم تماماً، فمَنِ الذي يبذل الجهد كي يوحد الأمة ويجمعها على كلمة سواء؟ سواءٌ في

مسائل النظر لآثار الصالحين أو فيما يتعلق بضوابط الاتباع لهم.. وهكذا نعالج قضية « الإفراط والتفريط » عندنا وعند غيرنا.

## نهاية عُمر الشيخ عبدالرحمن السقاف ووفاته

لما تقدم العمر بالشيخ عبد الرحمن السقاف وأدركه الكبر والضعف عجز عما كان عليه من تلك المجاهدات التي بنى عليها أول مرة؛ ولكنه ظل يبذل قصارى جهده فيما استطاع، حتى إنه اتخذ قارئا يقرأ عليه القرآن وهو يستمع إليه، وربما قرأ معه مدارسةً، وكان مع ذلك الضعف لا يدخل عليه وقت الصلاة إلا وهو في المسجد متطهراً منتظراً للجماعة، ولا ينفك عن مجالس المريدين والمترددين عليه للاستمداد وطلب الدعاء والتوجيه.

كما كان يرتب أولاده ووجهاء طريقته للقيام عنه بوظائف الأوقات ومجالس الدروس والحضرات، ويؤهلهم لحمل المسؤوليات، ويحرص كل الحرص على ترتيب قواعد السلوك بين المريدين، وحمل الشيوخ على حسن النظر والمراعاة مع الحزم والعزم.

وكان من مهماته في أخريات عمره الاشتغال بترسيخ قواعد الطريق لمدرسة حضرموت، حتى ترسخ عِلماً وعملاً وعاداتٍ

وعباداتٍ في نفوس الأتباع، وكان الشيخ عبدالرحمن السقاف يرغب في تفرد مدرسة حضرموت على ذات النمط الذي اختاره الفقيه المقدم والإمام المهاجر رضي اللّه عنهم أجمعين.

وظلّ رحمه اللّه مثابراً على ما عاهد اللّه عليه حسب طاقاته واستعداداته حتى مَرِضَ مَرَضَ الموت، وانتقل إلى عالم مولاه في يوم الخميس لسبع بقين من شهر شعبان سنة ٨١٩ هـ، وصُعِقَتْ حضرموتُ بخبر وفاته، واضطربت أحوال الناس بفراقه، وتوالى المعزّون من أطراف الوادي، وشيعت جنازته في موكب مهيب بين الدموع والدعاء، والحزن مخيم على الغنّاء وربوعها، ولسان الحال يخاطب الجميع: ﴿الَّذينَ إذا أَصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالُوا إنّا للّه وإنّا إِلَيهِ راجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ورَحْمَةٌ وأُولَئِكَ هُمُ المهْتَدُون﴾.

ودفن رحمه اللّه في مقبرة زنبل بين أهله وأسلافه، وأقيمت على روحه ما اعتاده أهل حضرموت من القرآن والفواتح والتسابيح، ورثاه ولده الشيخ عمر المحضار فقال من قصيدة طويلة:

أَلاَ يا عَينُ وَيحَكِ لا تَنامِي ... وبُثّي الدَّمْعَ واسْقِي كُلَّ ضامِي
على فَرَقِ الذي قد صار منه ... جميعُ الجسم باكٍ والعظامِ

وحُبُّهْ قد تـ ـمكَّنَ من فُؤادي ومَسْكَنُهُ قُلَيْبِـ ـي باكْتِتـ ـامِي

أَنُوحُ أنا على فرقـ ـاه نَوحـ ـاً يُشابِهُ نَوْحُهُ نَـ ـوْحَ الحمـ ـامِ

فغاب النورُ مِنّـ ـا واعتَلانـ ـا بفُرقـ ـاه ظـ ـلامٌ كالقَتـ ـامِ

ويَبْكِيهِ التَّهَجُّـ ـدُ في الليـ ـالي وتَبْكِيـ ـهِ القِـ ـراءَةُ في القِيـ ـامِ

ومَسْكَنُهُ مِنَ الجَنّـ ـاتِ عَـ ـدْنٌ مِنَ الرَّحمنِ تُخْتـ ـم بالسَّـ ـلامِ

# الفهرس